مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٢

ملامح عامة حول الكتابة والتعليم في حضارة العراق القديم

م.م حيدر علي خضير

الجامعة التقنية الوسطى / معهد الإدارة التقني / قسم تقنيات السياحة

البريد الإلكتروني Email : Haider.Ali@Mtu.Edu.Iq

الكلمات المفتاحية: التعليم. اللغة. الكتابة المسمارية، الحضارة. العراق القديم.

كيفية اقتباس البحث

خضير ، حيدر علي ، ملامح عامة حول الكتابة والتعليم في حضارة العراق القديم، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

General features of writing and education in the civilizations of ancient Iraq

Asst.Lec Haider Ali Khudhair
Middle Technical University \ Technical Institute for Administration
Department of Tourism

Keywords : education. Language. Cuneiform .civilization. Ancient Iraq.

How To Cite This Article
Khudhair, Haider Ali, General features of writing and education in the civilizations of ancient Iraq , Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2025,Volume:15,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

In their various ancient civilizations, the Iraqis had a major role in advancing knowledge and sciences. Perhaps the most important invention presented to humanity is writing and its development. Writing helped in the spread and multiplication of sciences, as the brilliance of the civilization of the Mesopotamia Valley in arithmetic, engineering, astronomy, medicine, and chemistry emerged. It is noted that these sciences did not arise in the embrace of private institutes and schools but rather arose through observation and human experiences at that time of what he saw and tried to interpret. The invention of writing represented a revolution in ancient Iraq, and schools were then established to teach this language and develop it alongside other knowledge. Educational institutions at that time had a major impact, whether on individuals or the institutions of ancient Iraqi society.

The environment in ancient Iraq played an important role in the invention of writing, as the basic material for recording was clay tablets, and the pen used in writing was derived from the land of Iraq. Cuneiform writing in its early stages, i.e. pictorial writing, expressed what the Iraqi individual saw in his environment. The family contributed greatly to

preparing its children to go to schools and learn, as it was similar to a miniature school. The emergence of schools in Mesopotamia and their development was linked to the invention of writing, in addition to the contribution of priests in the education process and teaching lessons to learners, as most schools were attached to temples and under the supervision of priests in the first place, as the school was not isolated from the home, but rather both institutions tried to coordinate their efforts to raise and educate children, a situation that still exists even in contemporary societies.

الملخص

كان للعراقيون في حضاراته القديمة المختلفة الدور الكبير في تقدم المعارف والعلوم ولعل اهم اختراع تم تقديمه للبشرية هو الكتابة ومن ثم تطويرها، قد ساعدت الكتابة على انتشار العلوم وتعددها حيث برزت براعة حضارة بلاد وادي النهرين في الحساب والهندسة والفلك والطب والكيمياء والملاحظ ان تلك العلوم لن تنشأ في احضان المعاهد والمدارس الخاصة بل نشأت عن طريق الملاحظة وتجارب الانسان آنذاك لما شاهده وحاول تفسيره فكان ابتكار الكتابة يمثل ثورة في العراق القديم، لتنشأ بعد ذلك المدارس لتعليم هذه اللغة وتطويرها جنبا الى جنب مع المعارف الأخرى فقد كان للمؤسسات التربوية آنذاك لها التأثير الكبير سواء على الافراد ام على مؤسسات المجتمع العراقي القديم.

لعبت البيئة في العراق القديم دورا هاما في اختراع الكتابة حيث كانت المادة الأساسية للتدوين تتمثل في الرقم الطينية كما القلم المستخدم في الكتابة كان مستمد من ارض العراق.الكتابة المسمارية في مراحلها الاولى اي التصويرية التي عبرت عما كان يشاهدها الفرد العراقي في بيئته. ساهمت الأسرة بشكل كبير في تهيئة ابنائها للتوجه نحو المدارس والتعلم حيث كانت اشبه بالمدرسة المصغرة. ارتبط ظهور المدارس في بلاد وادي الرافدين وتطورها باختراع الكتابة اضافه الى مساهمه الكهنة في عملية التعليم وتلقين الدروس للمتعلمين حيث كانت غالبية المدارس ملحقة بالمعابد وتحت اشراف الكهنة بالدرجة الأولى، حيث لم تكن المدرسة بمعزل عن البيت بل ان كل المؤسستين يحاولون تنسيق جهودهما لتربية وتعليم الابناء وهي حالة لا زالت قائمة حتى في المجتمعات المعاصرة.

المقدمة

اهتم الانسان في حضارة العراق القديم المتابعة بالمعالم الحضارية كافة وخصوصا الكتابة والتعليم لما كان لهما من اهمية بالغة في تكوين الفرد ولرقي المجتمع والحضارة لهذا نجد ان الكثير من النصوص التاريخية توضح لنا ان الأسرة كانت تتولى عملية التنشئة الاولى للطفل

الى ان يصبح مؤهلا للالتحاق بالمدرسة وتعد الكتابة هي اهم اختراع عرفته حضارة العراق القديم حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد والذي يقابل مرحلة حضارة كل من الوركاء وجمدة نصر(هو تل أو موقع موجود في محافظة بابل في العراق، وكان هذ الموقع عبارة عن مستوطنة بشرية التي تؤرخ في حوالي (٣١٠٠-٢٩٠٠ ق م) وبعد اكتشاف هذا الموقع سمي بثقافة جمدة نصر ،اذ سجلت عليها بعض الصور والرموز) الذي يوضح الدافع الاقتصادي لبروز اهم معلم من معالم الحضارة وهي الكتابة فالملاحظ من النصوص التاريخية انه تم انشاء اول مدرسة في العراق القديم وكذلك اول تلميذ واول معلم واول كتاب مدرسي والملاحظ هنا ان كل هذه الاحداث هي احداث فريدة ونادرة في تاريخ البشرية في العصور القديمة كما لاحظ اول سجلات دونت فيها الوصفات الطبية كانت في حضارة العراق القديم كذلك الرياضيات والهندسة وهذا وان دل على شيء فيدل على احداث عظيمه سخرت نفسها في سبيل تطوير الحضارات لأجل الانسان وعلى الرغم من ان تلك العلوم كانت بدائية وبسيطة، الا انها مهدت الطريق لتطور العلوم لملائمه الظروف الحياتية المختلفة آنذاك.

اتبعنا في دراستنا لهذا البحث على المنهج الوصفي التاريخي للوقوف على مشكلة البحث الا وهي، هل كان لظهور الكتابة تلك الضرورة والاسباب التي جعلت من الانسان القديم عازماً على ابتكارها؟ وهل لابتكار الكتابة ارتباط وثيق بظهور التعليم والمدارس؟ حيث تم تقسيم البحث الى محورين وخاتمة أولهما ابتكار الكتابة وثانيهما التعليم في حضارة بلاد وادي الرافدين.

المحور الأول- ابتكار الكتابة

اراد الانسان منذ القدم ان يعبر ويفسر ما يجري من حوله من احداث ولأجل ذلك تم اختراع الكتابة والرموز، ويعد اختراع الكتابة او اهم حدث حصل في تاريخ البشرية الذي ادى الى انقلاب جذري في الحضارة الإنسانية ورقيها في مجالات الحياة المختلفة اذ ساهم اختراع الكتابة في معرفة حضارات وشعوب قديمة وحتى نقل علوم ومعارف تلك الشعوب الى شعوب أخرى.

ابرزت لنا التنقيبات الأثرية عن واحدة من أقدم الرقم الطينية التي حملت علامات كتابية في بلاد سومر وبالتحديد جنوب بلاد العراق القديم حيث اكتشفت اول رقم في معبد (آي أنا – Ean na) كما عثر على بعضها في اور وشروباك وكيش وذلك من القرن العشرين قبل الميلاد، اذ تم تسميتها بالرقم القديمة او حسب ما سماها المؤرخون بالرقم ما قبل المسمارية التي يرجع اختراع الكتابة الى النصف الاول من الثالث قبل الميلاد حيث تم التعرف عليها من خلال الصور المنقوشة على صفائح حجرية او صخرية وحتى على الفخار الذي اصبح فيما بعد المادة الأساسية للكتابة.(الجميلي، ٢٠٠٥)

لقد اصبحت الكتابة هي تلك الواسطة المهمة التي تنتقل بموجبها جميع التجارب التي دونها الفرد والافكار التي حاول ان يجد لها الحلول والقيم التي تربى عليها والتعاليم التي فرضتها الطبيعة عليه لتعلمها والمعارف ليتم تناقلها من جيل الى جيل عبر العصور التاريخية المتتالية، فان الكتابة قد اصبحت ذلك السجل المهم للإنسان الذي يعد اكبر ذاكرة بشرية يفيد بها البشر اينما كان وفي اي مجال ارادوا وبمجرد معرفة الانسان للكتابة بدأ الاعتماد على المصادر المكتوبة كنصوص الحكام والملوك والقوانين وغيرها من التراتيل والنصوص القانونية واللغوية في مختلف الحضارات المتتالية في حياتهم اليومية.(سليمان، دت ،ص ١٠٩)

اهتدى السومريون الى مادة الكتابة بما هو متوفر في بيئتهم فاستعملوا آنذاك الطين من ضفاف النهرين على شكل الواح طينية بمختلف الاحجام وهي مادة ليست عرضة للتلف مثل ورق البردي او الجلود التي قد عرفها افراد الشعب في العراق القديم ولذلك حاول التطوير من المادة التي يقوم بتدوين الكتابة عليها مثل الجلود او الخشب حيث ان هذه الالواح اثبتت قدرتها من خلال التجربة على البقاء لفترة طويلة اذا ما قام بتجفيفها تحت الشمس او اذا ما تم تجفيفها بالنار فتكتسب صلابة وقوة بل انها قادرة على البقاء الى الابد في بعض شروط المناخ والارض الجافة وقد تم العثور على عشرات الالاف من الرقم الطينية التي تعود للحضارة السومرية لوحدها ويمكن عدها تقريبا بنصف مليون رقيم من حضارة العراق القديم المختلفة اضافة الى النقوش القصيرة على الاختام الحجرية واخرى على التماثيل والانصاب وكتابات على الاواني المعدنية الثمينة ومع هذا فان غالبية الكتابة السومرية كانت على الرقم الطينية.(فودن، ٢٠٠٣)

كما ذكرنا ان ما اكتشف من الواح طينية حتى الوقت الحاضر ما هو الا جزء ضئيل قياسا لما هو موجود تحت الارض ولكن ما اكتشف منه الى حد اللحظة اعطانا قدرا لا باس به من المعرفة عن حياة سكان العراق القديم فبواسطة الالواح يستطيع الباحث الآثاري التوصل الى مجموعة من المعلومات المنظمة عن مسيرة تاريخ الاقوام في الحضارة العراقية القديمة والتوصل ايضا الى معرفة القوانين والاسس وحركات التطور التي قامت عليها الحضارة آنذاك وتعد الكتابة السومرية هي الاكثر انتشارا في مختلف انحاء الشرق الادنى القديم وكتبت بها عدة لغات منها السومرية والاكدية ولكنها لم تبقى على حالها بل طرأ عليها تطورات عديدة خلال الحقب الزمنية المختلفة.(فتوحي،١٩٨٦ ص ٢٦)

اما عن ضرورات تطوير الكتابة، بعد ان اخترع الانسان في حضارة العراق القديم الكتابة ليعبر بها عن واقع الحياة الذي كان يعيش فيه وبعد التطور الطبيعي للحياة نتيجة تشكل القرى والمستوطنات القديمة وما تطلبته ظروف الحياة الجديدة فقد تم الاهتمام بالكتابة بشكل كبير

والعمل على تطويرها بشكل الذي يتلاءم مع الواقع الجديد الذي عاشه الانسان في العراق القديم اذ كانت اغلب المضامين النصية المكتشفة في العراق القديم اقتصادية ودينية حيث شكلت ٨٥% من الرقم الطينية في حين كانت الرقم الاخرى لغوية مدرسية ضمت قوائم مختلفة بأسماء الحرف واسماء الطيور والاسماك والمعادن وغيرها، فالكتابة اخترعت كنتيجة وحاجة ماسة للتطور الاقتصادي الذي حصل نتيجة التغيرات الهامة التي طرأت على تطور الحضارات في الشرق الادنى القديم وخصوصا خلال الالف الرابع قبل الميلاد على القرى والمستوطنات القديمة التي ادت بدورها الى تجمعات ذات كثافة سكانية تحولت بعدها الى اولى المدن الحقيقية خصوصا مع تطور المعارف في صناعة الفخار والنسيج وعمليات انتاج وتخزين المواد الغذائية التي تطلبت ادارة وتدوين اكبر وامكانيات اوسع وبالتالي يؤدي هذا التوسع الاقتصادي الجديد الى ايجاد نظام للكتابة وتدوين ومن ثم تطوير عناصر الكتابة.(الخوري،٢٠٠٢ ص ٣٠)

وبعد حركات التوسع في العهد السومري الى حدود جديدة وازدياد نفوذهم الى ما جاورهم من القبائل والمدن خصوصا ذلك التوسع السياسي الكبير الذي مكنهم من جباية الضرائب وفرض الإتاوات على المدن وعلى الاقاليم التي وقعت تحت سيطرتهم فقد احتاجوا الى كتابة وتدوين مجموع الضرائب بالإضافة الى كتابة الرسائل السياسية وايصالها الى الاقاليم ليس هذا فحسب بل لأرسال الاوامر الملكية الى الحكام الخاضعين الى الإمبراطورية السومرية اذ كان اختراع الكتابة وتطويرها ضرورة ملحة لمواكبة التطور السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي وحتى العلمي في العراق القديم قديما اذ تم تسجيل وتدوين المبادلات التجارية وعدد الحاجات المباعة والتي تم شراؤها اذ كان اصحاب الاعمال التجارية عادة يدونون الحاجة او الشيء وامامه العدد المباعة او المقترضة.(رشيد،٢٠٠٤ ،ص ٣٠)

يوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني من العراق القديم في المتحف البريطاني، وكانت الكتابة المسمارية لها قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق.م، إبان العصر السومري اذ انتشر استعمالها فدون السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والنصوص المسمارية القديمة والشؤون الدينية والعبادات وأيام حكم الملك حمورابي، وفي العصر البابلي القديم دونت الشرائع والعلوم فانتقلت الحضارة في هذا العصر الى جميع أنحاء العالم القديم.

كما كان للكتابة ذلك الدور الكبير في الحالات الاقتصادية والإدارية فكان لها دورا كبيرا ايضا في حفظ اللغة وتصويبها وجعلها يسيرة وقياسية للغة السومرية وما تلاها من لغات قديمة في بلاد الرافدين لأنه ما دامت اللغة غير مكتوبة فلا بد ان تتبدل او تتغير بسرعة لذلك فقد

ساهم اختراع الكتابة على تثبيت اللغة ،قواعدها ،اشاراتها والحفاظ عليها فالكتابة التي اوجدها سومريون زاد عليها من جاء ما بعدهم كمالا اكسبتهم قوة في التعبير عن اكثر اسرار فنون الفكر القديم العجيب في الطرق الخاصة التي اتبعت في تسجيل وحفظ الملاحظات مما يسر لظهور العلوم بشتى انواعه الى حيز الوجود.(لنتون، د،ت ،ص١٨٥)

ان مستلزمات الحياة في حضارة العراق القديم ساهمت بشكل واضح في تطور الكتابة وفق المراحل الاتية:

١. مرحلة الكتابة الصورية

كانت الكتابة في بداية الظهور صورية اي ان الفرد في المجتمع العراقي القديم كان يصور الاشياء والمعاني وللتعبير عن هذا الشيء يقوم برسم صورته التي تدل عليها وليس الالفاظ فاذا اراد الانسان آنذاك ان يكتب كلمه بيت فهو يصور لنا بيتنا على لوح من الواح الطين (شكل رقم ١) هذا وقد عثر في اوروك على رموز صورية واعداد على الواح طينية وكانت هذه العلامات الصورية تكتب لتمثل كلمات باللغة السومرية، ومهما يكن من امر فان السومريون هم مخترعو الكتابات الصورية التي هي عبارة عن علامات تمثل الأشياء (شكل رقم٢) ورغم اعتمادها على الصور التي تقوم مقام الكلمات فقد اعتبرت غير وافية بالغرض الا انه لم يستغني عن استعمال الكتابات الصورية، وذلك بسبب ملائمتها حتى في ايامنا هذه فعلى سبيل المثال اذا كانت هناك صورة جمجمة وعظام مرسومة على قنينة الدواء فان من يراها سيفسر في الحال انها خطرة وقد تؤدي الى الموت ويستطيع كل شخص سواء كان متعلما ام غير متعلم الى ادراك هذه المعلومة لأنها ليست مرتبطة بأية لغة ويمكن للناس فهمها مهما اختلفت لغاتهم لكن الملاحظ هنا، ان الطريقة الصورية في الكتابة محدودة جدا بحيث لا تسمح للكاتب ان يعبر عن الاشياء غير المادية في الكتابة الصورية وهذه كانت احد الاسباب التي ادت الى تطور التعبير عن الامور الحياتية باستخدام اسلوب رمزي في الكتابة بالإضافة الى الاسلوب الصوري.(كيبرا، ١٩٦٢ ص ٧٣)

٢.مرحلة الكتابة الرمزية

ان لضرورات الحياة وتطورها وجد السومريون في جنوب العراق ان الاعتماد فقط على الكتابة الصورية لم تعد قادرة على استيعاب جميع مفردات اللغة ولم تعد قادرة على متابعة تقدم العلوم والمعارف بل وحتى لتنظيم الامور الاقتصادية والإدارية،(ملرش، ١٩٧١،ص٣٧) فلقد اضطروا الى تبسيط كتاباتهم الصورية وبمرور الزمن حول الرموز والرسوم الى رموز ففي اول امر كانت الكتابة عبارة عن صور تعبر عن شيء ما ومن ثم تطورت هذه الصور فصغرى حجمها وتم

تبسيط شكلها بحيث اصبح تدوينها هي تم بسرعه وبيسر ثم تحولت الى علامات صوتية تعبر عن الاصوات التي ينطق بها لا عن الصورة نفسها فلذلك اهتدى الفرد العراقي الى ابتكار طرق رمزية للكتابة وذلك برسم صورة لها بهيئة مختصرة لكي يتم بواسطها من تدوين الافكار والمعارف المختلف والاشياء المعنوية فأصبحت العلامات لا تعبر عن الشيء الذي تصورها فقط بل يمكن ان تعبر عن افكار ذات صلة بما تمثله تلك العلامة فمثلا صورة زوج من السيقان تعطي ليس فقط لمعنى ساقين ولكن المعرفة توسعت حتى يمكن ان تشمل المشي او الركض او الاعداد واصبحت صوره القدم لا تستخدم لتدوين القدم او الرجل فقط بل اصبح على هذا دلالات اخرى على الافعال مثل (ذهب وقف مشى قام ركض اتى)حيث اختلفت المقاطع الرمزية السومرية التي تستعمل للمعاني نفسها من منطقة الى اخرى في حضارات العراق المختلفة، لقد كتب السومريون والاكديون عباراتهم في بداية عصورهم دون ترتيب يذكر ثم اصبحوا يرتبون عباراتهم في اعمدة يفصل بين كل عمود منها واخر خط راسي وكانت الكتابة تبدأ من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين ثم انتهوا اخيرا الى تفضيل السطور الأفقية وفي تتابع الحضارات وجد البابليون ان الكتابة افضل عندما تكون من اليسار الى اليمين لذلك يعد البابليون هو اول من كتب بهذا الترتيب ولعل الكتابة في سطور كانت نوعا من العلامات التي جرى بها العرف في حضارة بلاد وادي الرافدين كانت تصور او تنقش على الاواني السومرية البدائية لكن مع هذا بقيت الكتابة ناقصة بسبب استحالة التعبير بهذه الطريقة عن مختلف العلوم والمعارف والامور الإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكري والدينية لذلك بقيت الحاجة لهذه لتطور اساليب كتابة اللغة مستخدمة العلامات بهيئة مقاطع لكتابة الكلمات والجمل المختلفة.(روثن، ١٩٨٠،ص٢١)

٣.مرحلة الكتابة المقطعية او الصوتية

تمثل هذه المرحلة اوج فترات التطور في حضارة بلاد وادي الرافدين حيث بدأ ظهور المقاطع الصوتية التي استخدمت في تدوين الاحداث والمعاملات ليس من اجل معناها صوري او الرمزي وانما من اجل صوتها فقط فبعد ان تم التوصل على الطريقة الصوتية في الكتابة اصبح بإمكان الفرد العراقي ان يعبر عن الادوات النحوية وصيغ الافعال والاسماء المختلفة، ليس هذا فحسب بل وصل حد التطور الى امكانية التعبير عن اللغة تعبيرا دقيقا واصبحت الكثير من العلامات تستخدم استنادا الى التطور الحاصل في الكتابة واللغة لهذا نجد في النصوص التاريخية ان النص الأكدي يتصف بانه مزيج من العلامات التي تعني كلمات واضحة وكاملة واخرى مقاطع صوتية اي تجزئة الكلمة او الاسم الى اجزاء صوتية واعطاء كل جزء علامة خاصة به فقد كان

العراقيون القدماء في اغلب الاوقات يصوغون العبارات التي ينقشوها بلهجة يعبر عنها بالتفاخر والتباهي ولعل ما يلاحظه الباحث ان النهج الذي اتبعوه اوضح علو شانهم بأنهم قد استعاضوا عن الكتابة الصورية والرمزية بطريقة الكتابة الصوتية (ساركز، ٢٠٠٠ ص ٧٩) ، وشيئا فشيئا بدت الصعوبة في استخدام الطريقة الصوتية عند الأكاديين خصوصا عند تدوين اللغة الاكادية التي تختلف تماما عن اللغة السومرية من جوانب عديدة لذا كان على الكتبة ان يجدوا طرائق جديده تساعدهم على استخدام الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الاكادية بشكل بسيط وبأفضل الصيغ الممكنة لذا طوروا على اللغة والكتابة واعطوا العلامات اصواتا جديدة تتناسب مع لغتهم وتعبيراتهم وطريقة تفكيرهم لكن مع الاحتفاظ بالأصوات السومرية القديمة كمصدر اساس للكتابة في حضارة العراق القديم.(كريمر، ١٩٧٣ ،ص٤٣٢)

كان الملك آشوربانيبال (٦٦٨–٦٢٦ ق.م) من أكثر ملوك العصر الآشوري ثقافة، فجمع الالواح من مختلف أنحاء البلاد وحفضها في مكتبته الخاصة التي شيّدها في عاصمته نينوى، وتضمنت هذه الالواح مختلف علوم ومعارف العراق القديم، كان العراقيون القدماء يصنعون من عجينة الصلصال ألواحهم الطينية الشهيرة التي كانوا يكتبون عليها بقلم مصنوع من القصب والطين ما زال لين، بعدها تحرق هذه الألواح (شكل رقم ٢) لتتصلب.

حظيت الكتابة بمكانة مرموقة في حضارة العراق القديم نظراً للدور الكبير الذي تشكله في حياة المجتمع العراقي القديم فقد كان المستقبل الذي ينتظر متعلمي ودارسي فن الكتابة مغريا فكانت القصور تحتضن المتميزين من الكتاب وكانت المناصب العليا في الدولة تنتظر كل من يبرز دوره في الكتابة والقراءة اذ كان الكاتب يقف اعلى طبقات المجتمع وصاحب اعلى درجات الوعي الثقافي ويظهر ذلك من خلال المثل السومري القائل "**ان الكتابة هي ام للخطباء واب للأساتذة**" وكانت الكتابة تعد مصدر الهي واخبرتنا النصوص التاريخية بانها هبة منحتها الإلهة لتسيير شؤون حياتهم من خلال وجود الهه قديمة في للكتابة وهما (نابو ونيسابا) وحظي الكاتب في العراق القديم باهتمام بالغ في مجتمعه نظرا لأهمية دوره في تطور الحضارة آنذاك.(الزيباري،١٩٨٩ ص٤)

اما عن انتشار الكتابة المسمارية فأنها لم تكن مقتصرة على اللغة السومرية ولكن منذ عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد استعملها الاكاديون في تدوين لغتهم الاكدية كما تطرقنا اليها سابقا واضافوا اليها بعض الرموز التي تناسب لغتهم ونظرا للعلاقات الحضارية والسياسية والاقتصادية بين الدول انتقلت الى بلاد عيلام(ايران) وبعدهم وصلت الى الحوريين وكتبوا بها لغتهم ثم الى مدينة ماري(تل الحريري) ومن ثم الى شمال سوريا وفي الوقت نفسه اقتبس الحثيون في اواسط اسيا

الكتابة المسمارية ايضا عن طريق التجار الاشوريين ومن ثم انتقلت الى مستعمرة كبدوكيا (تركيا الحالية) وايضا تم استخدامها من قبل المصريون خلال القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد في مراسلاتهم مع ملوك وامراء منطقة الشرق الاوسط القديم وفي بداية القرن التاسع قبل الميلاد انتشر الخط الاشوري الحديث في اورار تو (ارمينيا الحالية) وبعد سقوط نينوى عام ٦١٢ قبل الميلاد اختفى الخط المسماري في كثير من المناطق اما في بلاد بابل فقد استمر حتى نهاية العهد السلوقي حوالي عام ١٢٦ قبل الميلاد وبظهور اختراع الحروف الهجائية من قبل العرب الكنعانيين في شبه الجزيرة العربية وفي شبه جزيرة سيناء عام ٨٥٠ قبل الميلاد حلت الحروف الهجائية محل الكتابة المسمارية .(شحيلات،الحمداني،٢٠١٢ ،ص٣٣٢)

المحور الثاني- التعليم

بالنسبة للتعليم ما قبل التاريخ، فلا يمكن استنتاجه إلا من الممارسات التربوية في الثقافات البدائية الباقية، وبالتالي فإن الغرض من التعليم البدائي هو توجيه الأطفال ليصبحوا أعضاء صالحين في قبيلتهم أو جماعتهم. هناك تركيز واضح على التدريب على المواطنة، لأن الأشخاص البدائيين يهتمون بشدة بنمو الأفراد كأعضاء قبليين والفهم الشامل لطريقة حياتهم أثناء الانتقال من مرحلة ما قبل البلوغ إلى ما بعد البلوغ.

بدأ تاريخ الحضارة في الشرق الأوسط حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد، في حين بدأت حضارة شمال الصين بعد حوالي ألف عام ونصف. ازدهرت حضارات بلاد ما بين النهرين والمصرية في وقت واحد تقريبًا خلال المرحلة الحضارية الأولى (٣٠٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد). على الرغم من اختلاف هذه الحضارات، إلا أنها تشاركت في إنجازات أدبية ضخمة. جعلت الحاجة إلى إدامة هذه الحضارات المتطورة للغاية الكتابة والتعليم الرسمي لا غنى عنه.

اوضحت النصوص التاريخية على ان اول لغز او حزورة تم اكتشافها في التاريخ في حضارة بلاد وادي الرافدين وتقول هذه الحزورة السومرية (بيت بأسس كالسماء البيت الذي يشبه وزة واقفة على قاعدة متينة يدخلها المرء بعيون مغلقة ويخرج منها بعيون مفتوحة فما هي؟ الحل- المدرسة). (إسماعيل، ١٩٨٥ ،ص٢٣٦)

لقد كان للأسرة والمدرسة دور تربوي وتعليمي مشترك ولا نقصد بالمشترك فيما يتعلق بالمشتركات بينهما من حيث الدور التربوي لكليهما وانما المقصود هنا اداء كل منهما دورا في التربية والتعليم منفردين او مشتركين ويمكن تتبع ذلك من خلال ان الأسرة لها دور تربوي وتعليمي يسبق المدرسة حتما كون الأسرة سابقة من حيث نشوئها على المدرسة ويمكن تصور ذلك من خلال دراسة حياه الانسان منذ نشوءه وما تطلبه ذلك فكان موضوع الاهتمام بالري لأهميته قد ادى

بالسومريين الى ان تتمثل جهودهم الهندسية الفنية العظيمة بحفر شبكه من القنوات المخصصة لإرواء الاراضي الزراعية الى جانب تسهيل المواصلات والنقل بين مختلف بقاع البلاد وان الري سابقا كان سبيلا لبلوغ الحضارة حيث ان تنظيم الري ومشاريعه الزراعية امر يسير جنبا الى جنب مع الحضارة وكان للعراق دورا في نشوء اول الحضارات بفضل وجود اقدم نظام للري فيه والذي قاد بدوره الى ان يكون القانون يضمن الاستخدام الامثل لقنوات الري وان علم الري يبدأ بمسح الارض ثم تنظيم الري فيها وان استيطان السومريين في جنوب العراق أيا كانت النظرية التي قيلت عن اصولهم فهم لابد وان يستقروا قبل بدء اكتشافهم للكتابة وبالنتيجة كان لوجودهم وقيامهم بزراعة الارض عن طريق قنوات ري ابتكروها قد صاحبه عمليه تعليم مستمرة تتناقل من الاباء الى الابناء وبغض النظر عن من يرى ان الزراعة في العراق بدأت في شماله بالاعتماد على الري بمياه الامطار الا ان هناك دور تعليمي عن الكيفية التي تتم بها السيطرة على المياه بهدف تحقيق زراعة ناجحة.(باقر،٢٠٠٩ ص٨١)

كان ابناء الملوك يخضعون لتربيه خاصه وان الإلهة هي من تحتضنهم لذا نجد ان الملك اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م) يقول بان الاله (مردوخ) منحه الحكمة الواسعة وكاتب الإلهة الاله (نابو) وهبهُ الحكمة والذكاء ومن بين ذلك ما جاء بشان التربية والحث عليها وعلى التعليم في نصائح الأسرة لأبنائها كما في حكمة احيقار الى ابن اخته المدعو نادان "يا بني التحق بالحكماء وبالرجال الاتقياء لكي تتشبه بهم ولا تشارك الشبان الطائشين لكي لا تشبههم وتتبع طريقهم يا بني اذا مرض الحكيم يمكن للطبيب الاعتناء به وشفائه ولكن ليس هناك علاج لآلام الاحمق وجروحه وجاء ايضا في التعليم في الحكم والامثال السومرية المثل القائل الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة التي يمضي فيها الفم هو كاتب جدير بهذا الاسم".(الشواف،١٩٩٦،ص٣٤٤)

اهتم الانسان في المشرق القديم بالتربية والتعليم لما لهما من اهمية بالغة لرقي الفرد ولرقي المجتمع لهذا نجد ان الأسرة كانت هي الدولة الصغيرة التي يقع على عاتقها تنشئة الطفل الاولى الى ان يصبح في سن يخوله للالتحاق بالمدرسة، ان المدارس هي الاماكن التي تم تأسيسها لنشر المعرفة، ان نشأة المدارس في حضارة العراق القديم وخصوصا في بداياتها في الحضارة السومرية جاء كنتيجة مباشرة لاختراع الكتابة وتطورها لملائمة حاجات المجتمع اما عن الهدف الاساس لظهور المدارس يمكن القول انها قد تم تأسيسها بالتخصص او التدريب المهني اي انها اسست لغرض تدريب الطلبة على الكتابة لاحتياجهم اليها للعمل في القصور والمعابد كما ذكرنا في المحور الاول واستمر هذا الغرض اي الدراسة هدفا اساسيا للمدرسة السومرية وعليه اصبحت

المدرسة خلال عملية النمو والتطور المستمر مركز العلم والتعليم والثقافة والمعرفة في بلاد سومر .(Black,2005)

لقد كان الازدواج اللغوي واستخدام اللغتين السومرية والآكدية في ان واحد في تدوين مختلف النصوص اثره في زيادة وتعقيد صعوبة مهمة الكاتب والقارئ والمتعلم في بلاد وادي الرافدين القديم ونتيجة لذلك نشأت اولى المؤسسات التعليمية في تاريخ الحضارات والتي سميت بالمدارس وفي اللغة السومرية كانت تسمى (أي– دبا) بمعنى بيت الالواح، لم يقتصر التعليم في المدارس على تعليم العلامات المسمارية وباللغتين السومرية والاكدية فحسب بل شمل ايضا العديد من العلوم والمعارف الاخرى كالهندسة والحساب والطب والفلك والجغرافيا وغيرها من العلوم حتى وانه بالرغم من الصعوبة التي واجهها الآثاريين في تحديد مكان المدارس بين الاثار الكثيفة والكثيرة المكتشفة الا انهم تمكنوا من الاستدلال عليها من بعض المخلفات المدرسية كالنصوص المدرسية التي اعدها الطلبة والمدرسون اضافة الى انه كانت بعض اجنحة المعابد والقصور تستخدم للتعليم والتدريب على الكتابة والقراءة وبالرغم من ان انتشار التعليم في جميع ربوع البلاد الا انه ظل مقصورا على طبقة محددة من الناس المتمكنين اقتصاديا على تخطيط نفقات الدراسة والتي كانت تستغرق الدراسة فيها مده طويله ولهذا كان متعلمون من الكتب يحتلون مواقع اجتماعيه مهمه وفي بعض الاحيان يتقلدون وظائف حكومية مرموقة ولا شان في النصف الاول من الالف السادس قبل الميلاد وتحديدا في السنة ٦٣٧ قبل الميلاد.(Kramer, 1971)

تشير النصوص المدرسية التاريخية المكتشفة الى ان مؤسسات التعليم والمدارس كانت على نوعين من حيث الجودة والمستوى للتعليم، فأما المستوى الأول او المستوى الاعتيادي الذي كان يتعلم فيه الطالب القراءة والكتابة وربما بعض من الحساب، اما النوع الثاني فكان يضم المدارس التي تعطي المعارف المختلفة كالرياضيات والفلك والطب وغيرها، ويبدو ان المدارس من هذا النوع كان يطلق عليها تسمية بيت الحكمة وكان المدرسون والرجال الحكماء الذين يسكنون بيت الحكمة يحرسون الاسرار، وذكرنا سابقا بان التعليم كان مقتصرا على الأغنياء ولعل سبب ذلك يعود الى طول فترة التعلم وما يتبعه من تكاليف.(van de mieroop,2015)

لم يقتصر نشوء المدارس على ما تقدم فحسب بل نشأ نوع اخر من المدارس في العراق القديم يمكننا ان نطلق عليه تسميه المدارس الخصوصية او المدارس الأهلية وهذه المدارس تشبه الى حد ما المدارس التي يتم انشائها في الوقت الحاضر والتي كانت تستقبل قبول الطلاب للتعلم بها على نفقتهم الخاصة وان الذي يقوم بالتدريس في المدارس الخاصة وهم خريجين مدارس متفوقين والمحترفين في كتابه اللغة السومرية والاكدية ومن اجل استثمار الخريجين من المتعلمين وايجاد

فرص عمل لهم عبر استثمار قدراتهم العاليه في التعليم وتفوقهم بهذه المهنة فكانوا يعملون بهذه المدارس من اجل الاستفادة المالية فضلا عن اهمية مهنة التعليم على المهن الاخرى مما دفعهم الى انشاء تلك المدارس لقاء اجور معينة وعبر عنها الى حد ما يعرف بالكتاتيب اي انها المدارس اولية التعليم.(باقر،١٩٨٠،ص١٦٦)

خلال التحريات الأثرية اظهرت لنا حضارة بلاد وادي الرافدين مجموعة كبيرة من الالواح التي يعود تاريخها تحديدا الى العصر البابلي القديم خلال النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد ومن خلال الدراسة والتحليل لهذه الرقم المدرسية توصل الباحثون الى التقسيمات الإدارية المهمة للمدارس في بلاد الرافدين حيث تم تقسيمها الى نوعين وهما:

أ-المدارس الابتدائية: وهي المدارس التي كان يتلقى فيها الفرد القراءة والكتابة وعمليات الحساب واللغة ومعانيها والمفردات اللغوية وشرحها ومن ثم الموسيقى، وتسمى باللغة السومرية "أدبا".

ب-المدارس المتقدمة: ويقصد بها المدارس التي كانت تقدم العلوم المتقدمة كالرياضيات والفلك والسحر والادب والطب، وسميت هذه المدارس باسم "بيت مم" وتعني بيت الحكمة اذ كانت هذه المدارس بمثابة معاهد عالية.

اما عن تقسيماتها الإدارية، كان مدير المدرسة يسمى في النصوص السومرية "أوميا" وتعني أب المدرسة، اما عن المعلم او المدرس كان يدعى "سيس-غال" والذي يعني الأخ الكبير الذي ورد ذكره في العديد من النصوص التاريخية المسمارية والذي كان من الطلبة المتقدمين ويساعد الطلاب الجدد في تحضير واجباتهم المدرسية، ولقي المعلمون الذي كان معظمهم من كهنة المعابد الدينية، ودلالة على ذلك ما جاء في أحد الرقم الطينية في خطاب طالب الى معلمه، نُقش عليها هذا النص "يا أيها المعلم! أيها الرب الذي يخلق البشرية! أنت الهي حقا، لقد كنت تجرواً صغيرا، وانت فتحت عيني وجعلتني انسانا". (إسماعيل،١٩٩٢، ص ١٦)

كان التلامذة يلتحقون بمقاعد الدراسة في سن مبكرة من حياتهم غالباً ما كانت دون العاشرة الى ان يصبح شاباً ،ويتضح من خلال النص المسماري ان فترة الدراسة كانت طويلة ولم يتمتع فيها التلميذ شهريا بالعطلة لأكثر من ثلاثة أيام، حيث ينقل لنا النص المسماري "**حساب بقائي في بيت الالواح يكون (كما يأتي) :أيام حريتي ثلاثة أيام كل شهر واحتفالاتها ثلاثة أيام كل شهر فيها أربع وعشرون يوما كل شهر(تمثل) حياتي في بيت الالواح(المدرسة) أنها أيام طويلة**"(ساركز،٢٠٠٠،ص٨٥)، كان فترة الدراسة يومياً في المدرسة من شروق الشمس الى غروبها، كما كان عليه يتفادى التفاخر، فان وصل متأخراً فعليه ان يجلس في مقعده دون ان يلاحظه المعلم، والا نال القصاص من معلمه، ومن جهة أخرى كان المدرسون يشجعون طلابهم

ليحسن عملهم وتتطور معالمهم عن طريق المديح والاطراء الا أن اعتمادهم في تقويم أخطاء الطلاب عند تقصيرهم في أداء واجباتهم باعتمادهم على العصا ،حيث ان علاقة التلميذ بالأستاذ كانت اقرب الى الابوة الى درجة انهم كانوا يكتبون أبناء الكاتب فلان رغم انهم ليسوا أولادهم الحقيقيين وأنما أوكل اليهم مهمة الرعاية والتعليم والقراءة والكتابة. (علي، ١٩٩٥، ص١٣٣)

وفضلاً عن ذلك كان على التلميذ ان يقضي غالبية وقته في الدراسة حتى اصبح فيما بعد غير مقتصرا على الذكور والاناث ايضا حيث من الممكن ان يتعلمن ويصبحن كاتبات في المعبد او القصر ويمكن الاستدلال على ذلك بوجود الهة معينة للكتابة من الاناث التي وصفت انها كاتبه الجميع في العصر الاكادي وفي العصر البابلي القديم توجد كاتبات كما اشارت رسالتان من العصر الاشوري الى وثيقه قامت بكتابتها احدى النساء الا انه رغم ذلك كان عدد المتعلمين من الاناث قليل جدا بل يمكن التعبير بطريقه اخرى انه كان محدود في المجتمع قياسا الى عدد السكان.(صموئيل ، ١٩٨٥، ص ٤٣)

كانت المناهج الدراسية الموضوع في المدارس السومرية وما بعدها طويله وصعبه وقد تستغرق عده سنوات لفهمها وحفظها والعمل بها حيث كانت تتطلب وقتا طويلا وتتطلب من المتعلم تفرغا كاملا حيث يعتمد في مراحلها الاولى على الحفظ وكان يستوجب على التلميذ المتعلم في حضارة بلاد وادي الرافدين ان يكون متمكنا من اللغة السومرية ويداوم على استبيان الاسماء واستنساخ القوائم من المصطلحات السومرية حيث كان النظام آنذاك ان الطالب اذا استمر في تعلمه وحصل تطور كبير في معارفه وعلمه باللغة والاشياء الأساسية فانه يمكن من مواصلة دراسته في اي فرع من فروع العلم المختلفة حسب رغبته ويشار ايضا ان العلاقات الشخصية بين الاستاذ والمتعلم كانت تؤثر في وضعيه الطالب تذكر احد النصوص التاريخية حوالي سنه ٢٠٠٠ قبل الميلاد ان النتائج الخاصة بأحد الطلاب كانت سيئة بسبب تعرضه للضرب كثيرا حتى اصبح كارها للمدرسة (رشيد،٢٠٠٤،ص١٥١)، ان انتشار مدارس في بلاد وادي الرافدين وتعدد مناهجها ساهمت ايضا في تعدد العلوم والمدارس ولا باس من ان نذكر بعض من هذه المدارس حسب ما وجده الباحثين في خزائن الكتب والرقم الطينية.

١.مدرسة نيبور نفر –Nippur

تعتبر من اهم المدارس التي ظهرت في حضارة بلاد وادي الرافدين وكانت عبارة عن جزء معزول من المعبد الرئيسي لمدينة نيبور السومرية اكتشفت فيها سجلات يعود تاريخها الى ٢١٠٠ قبل الميلاد ، وان هذه السجلات تخص بصفة اساسية الصفقات المالية للبيع والشراء وعثر ايضا في المكتبة على قوائم الملوك التاريخية التي تذكر بعض اسماء الملوك السومريين

يقابلها الاحداث المهمة التي حصلت في عهد كل ملك سومري في سنوات حكمهم وعثر ايضا على جداول رياضية مختلفة ومهمة منها جدول الضرب وايضا اسماء لبعض المدن والمناطق وانساب العائلات ويظهر من خلال هذه السجلات ان المدارس السومرية والسومريين بشكل عام كانوا معنيين بدراسة تاريخ الأزمنة.(john,1904,p192)

وقد عثر ايضا في مكتبة هذه المدرسة على اول خريطة معروفة في العالم القديم وأقدم خريطة لمدينة في التاريخ حيث رسمت تلك الخريطة على لوح كبير من الطين لمخطط مدينة نيبور التي كانت تعد سابقا مركزا ثقافيا لبلاد سومر واكد وجاء في الخريطة نقاط لمجموعة من المعابد في المدينة وبناياتها المشهورة وحديقتها واسوارها وابوابها. (صموئيل،١٩٨٥).

٢.مدرسة أوروك- Uruk

عثر عليها في مدينة الوركاء التي تعد اقدم المواقع التاريخية التي اكتشفت فيها الكتابة المسمارية حوالي ٤٠٠٠ ق.م ، وازدهرت بين ٣٨٠٠-٣٢٠٠ ق.م ،اثر فيها على الواح طينيه كتبت بالخط المسماري كانت هذه الالواح تتألف من اكثر من ٢٥٠٠ مقطع وتضمنت هذه الالواح كتابة على هيئة صور للأشياء المراد تدوينها وقد عرفت اوروك بمعابدها الواسعة خلال فترة دويلات المدن السومرية والاكدية ووجد ايضا في احد حجرات معبدها الرئيسي على عدد كبير من الرقم الطينية تسجل في الاحداث التاريخية من حروب واعمال الملوك وسيرتهم وتم تدوين مشاريع العمرانية في المدينة وقد دون ايضا في احد الواحها الطينية قائمة وفهرس خاص بأسماء الملوك بحيث توصل الى اثبات مائة اسم لأثنى عشرة ملكاً يعود نسبهم الى السلالة الاولى التي حكمت اوروك.(جي فرج، ١٩٦٠،ص٧)

كما وجدت ايضا مجموعة من الرقم التي ضمت عددا من الوثائق القانونية والتجارية بالإضافة الى تدوين قصائد وصلوات مختلفة وادعية ولعل الرقم التي استخرج منها رقيم ومعه قطعة طينية تتشكل من الصفيحة فيها معلومات تشير الى ان الملك البابلي نبوبلاصر (٦٠٥-٦٢٦ق.م)،قام باستعارة الرقيم الخاص بالإلهة عشتار ولكن بما ان الرقيم لم يعاد في وقته الى المكتبة وجده احد الكهنة واعاده الى موطنه في مدينه اوروك، كما عثر في نفس المكتبة على رقيم اخر مسجل عليها الملاحظة الأتية "لقد تم اعاده النسخة الثانية لاحد الرقم من قبل الملك سرجون الاشوري(٧٠٥-٧٢١ق.م) وتمت اعادته".(قرنجي ،١٩٧٦،ص٢٦)

٣.مدرسة سيبار-Cebar

سيبار مدينة بابلية في الفترة الاشورية البابلية(٢٤٠٠-٦٨٩ ق.م) تقع جنوب بغداد ومما يفتخر به ان اول مدرسة منظمة في العالم بنيت في هذه المدينة العراقية وهي واسعة الارجاء وتضم

ساحات واسعة خضراء وتضم العديد من الغرف المنسقة تنسيقا محكما، تقع غرفة السجلات في جانب من معبد سيبار الذي يشرف عليه الكاهن المكتبي ومن خلال الحفريات التي قام بها الباحثون عثر على اكثر من الف لوح طيني التي صنفت وتم ترتيبها في المكتبة بشكل منسق على الرفوف واثبتت ان الموضوعات الاكثر تناولا في هذه الفترة هي متعلقة بالصفقات التجارية(شكل رقم٣) كالبيع وشراء الاستيراد والتصدير ويقدر عدد مجموع هذه الالواح الى اكثر من ٥٥,٠٠٠ رقيم الا ان كثير من هذه الرقم تعرضت للتلف نتيجة سوء الحفظ مما أدى الى تكسر عدد كبير منها.(George, 1983 ,p16)

ان تطور الحضارة العراقية منذ مطلع الالف الثاني قبل الميلاد فصاعدا كان مرتبطا بتطور العلوم والمعارف والممارسات التقنية العلمية كشرط من شروط تطور الحضارة وهكذا تطورت هذه الاساليب والمعارف حتى وصلت الى درجة العلم الصحيح كالرياضيات والفلك والطب والهندسة والتخطيط وغيرها حيث دونت هذه العلوم واصبحت أقرب الى ان ما تكون عليه علم صحيح ولا باس ان نذكر بعض من هذه العلوم التي قام بدراستها المتعلمون في المدارس العراقية القديمة.

في مجال صناعة الأدوية اعتمدت التعليم في المدارس على دراسة علم النباتات والاعشاب وقد خلف لنا العراقيون القدماء سجلات مدرسية فيها تراكيب ادوية فكانت الاساس الاول في علم الصيدلة، واما في حقل الكيمياء فقد جاءتنا بعض المدونات والرقم المسمارية الخاصة بالمعارف العلمية في الكيمياء منها مزيج المعادن المختلفة وامكانيه تكوين معادن مركبة قوية، حيث كانت من الاساليب التقنية الخاصة بالتعليم هو عمليه مزج المواد ووضعها في زجاج واضافة الذهب اليها كذلك عرفوا خواص الكبريت الطبيعي. (العلي،١٩٨٤، ص١٢٣)

لقد نقلت لنا النصوص التاريخية العراقية والكتابات المسمارية عن المستوى الرفيع الذي بلغته هذه الحضارة من تطور في علوم الرياضيات مما حمل العلماء المختصين على إعادة النظر في كثير من معلوماتهم حول اصول الاولى الرياضيات والفلك حيث اصبح واضحا ان كثير من المبادئ الرياضية التي كانت تعزى الى علماء الغرب مثل فيثاغورس كان بالطبع قد سبقهم اليها الرياضيون خصوصا في بابل بألف عام وهو ان دل على شيء فيدل على دراسة متطورة في المدارس العراقية الخاصة بهذا العلم، اما عن علم الفلك فقد بلغ تقدم الفلكيين في حضارة بلاد وادي الرافدين التقدم الكبير حتى انه استطاع التنبؤ بكسوف الشمس وخسوف القمر وتحديد طول الليل والنهار في فصول السنة المختلفة وحتى عملية الانقلاب الشتوي والصيفي وكذلك الاعتدال الربيعي والخريفي ان هذه الامور والمعارف والعلوم كلها عوامل سادس ورقي الحضارة والمجتمع

ومستوى الصحة والتعليم والفرد بشكل عام في حضارة بلاد وادي النهرين.(عبد الواحد،١٩٩٧،ص٨)

في زمن الدولة البابلية كانت هناك مكتبات في معظم المدن والمعابد؛ مثل سومري قديم يقول: «الذي من شأنه التفوق في مدرسة الكتبة يجب أن يستيقظ مع الفجر». النساء مثل الرجال تعلمن القراءة والكتابة، وللبابليين الساميين، ذلك تضمن معرفة للغة السومرية المنقرضة، ومقاطع معقدة ومكثفة.

ببساطه القول ان المناهج والدروس التي كانت تلقى في المدارس ودور المعابد والأبنية الملحقة بالمعبد كانت عديدة منها علوم الدين واللغة والعلوم الرياضية بأنواعها والمساحة وعلوم القوانين والجغرافيا والتاريخ ومن ثم الفلك وعلم الموسيقى والرسم حيث ان التلميذ كان يتعلم في المدارس الابتدائية وأصول الدين والقراءة ثم الكتابة ويتطور بعدها ليصبح مجال المعارف اكبر لديه حيث يدرس في المدارس العالية اللغة السومرية بقواعدها وآدابها ومن ثم اللغة الاكدية وقوانين البلاد واسماء المدن والممالك واسماء الملوك وفتوحاتهم التي قاموا بها ومن ثم علم الفلك وغيرها من العلوم الأخرى، ان الفرد في حضارة بلاد وهذا الرافدين اتقن فصول السنة واوقات المواسم وتعلم كيفية نظم سير الكواكب وحالات ظهورها وبرعوا في استعمال العقاقير والأدوية كما اتقنوا فنون البناء والنحت وتركيب الاصباغ ، يمكن تقسيم المناهج الدراسية الى اقسام عديده كما ذكرها صموئيل الى ستة اقسام وهي:

١.العلوم الأدبية: اللغة والادب والأساطير وقصص الالهة.

٢.العلوم الاجتماعية: الجغرافيات والخرائط والدول والتاريخ.

٣.العلوم الرياضية: الحساب والفلك.

٤.العلوم العقلية: الطب والكيمياء ودراسة الأحجار الكريمة والزجاج.

٥.العلوم الدينية: الأناشيد والعبادات والصلوات.

٦.العلوم الثانوية: التنجيم والاحلام والزراعة. (صموئيل،١٩٧٣، ص ٩٢-٩٣)

ان للحضارة السومرية اثرها البارز في انتشار التعليم في عموم البلاد والعالم حيث لا يختلف العلماء التاريخيون بان حضارة سومر القديمة هي مهد لكل الحضارات البشرية حيث توجد فيها اقدم مراكز الحضارة وعثر على ارضها اقدم الوثائق التاريخية التي تناولت مختلف جوانب الحياة والخاصة بالإنسان واحداثه الحاسمة في مسيرته الحضارية وصراعه مع العلم والمعارف لتعلمها وتعليمها كما خلقت هذه الحضارة ذلك التراث الغني بالعلم والادب والعطاء الحضاري الذي قدمته في سبيل التقدم البشري ليس هذا فقط، بل هناك العديد من الانجازات الروحية للإنسانية جمعاء

وذلك التأثير الذي لها بشكل مباشر او غير مباشر على جميع مناطق الهلال الخصيب التي تمتد من دجة والفرات وحتى نهر النيل، بالإضافة ان العلاقات الخارجية قد ساعدت الى اكساب المناطق الاخرى تجارب واسعة وخلقت من العلاقات الخارجية طريقا نحو المعارف والعلوم المختلفة لتعليمها خصوصا بين المجتمعات المختلفة في المنطقة اي في منطقة الوطن العربي القديم خصوصا وان مظاهر الحياه تتشابه فيها حيث ان معظم شعوب الوطن القديم كانت على صلة فيما بينها ويبدو ذلك واضحا من المظاهر الحضارية كما اوردتها الينا الرقم الطينية التي تشير الى وجود دلائل للتبادل التجاري والبضائع وعقود البيع والشراء بين الشعوب ، كما بينت الأدلة التاريخية ان حضارة العراق القديم قد اثرت بشكل كبير بالحضارات المجاورة وخاصة في مجال العلوم حيث ان الاتصال بين الحضارات ووجود العلاقات فيما بينها ولد روح الابداع والتنافس الفكري بينهم وان هذا التنافس كان قلب التطور الحضاري في العالم القديم التي من خلالها اشرقت لنا شمس الحضارات.(البدر،١٩٨٣ ص٦٧-٦٨)

الاستنتاجات

-ان اختراع الكتابة كان نتيجة لحاجة الانسان لنقل ما يدور في خياله وما يلاحظه من حوله كنتيجة للتطور الطبيعي والاقتصادي الذي طرأ على حياه المجتمع آنذاك.

-لعبت البيئة في العراق القديم دورا هاما في اختراع الكتابة حيث كانت المادة الأساسية للتدوين تتمثل في الرقم الطينية كما القلم المستخدم في الكتابة كان مستمد من ارض العراق.

-الكتابة المسمارية في مراحلها الاولى اي التصويرية التي عبرت عما كان يشاهدها الفرد العراقي في بيئته.

-ساهمت الأسرة بشكل كبير في تهيئة ابنائها للتوجه نحو المدارس والتعلم حيث كانت اشبه بالمدرسة المصغرة.

-ارتبط ظهور المدارس في بلاد وادي الرافدين وتطورها باختراع الكتابة اضافه الى مساهمه الكهنة في عملية التعليم وتلقين الدروس للمتعلمين حيث كانت غالبية المدارس ملحقة بالمعابد وتحت اشراف الكهنة بالدرجة الأولى، حيث لم تكن المدرسة بمعزل عن البيت بل ان كل المؤسستين يحاولون تنسيق جهودهما لتربية وتعليم الابناء وهي حالة لا زالت قائمة حتى في المجتمعات المعاصرة.

-كان التعليم في بداياته يشمل الذكور فقط ولكن في فترات لاحقه شمل الذكور والاناث الا ان الغالبية العظمى كانت من الذكور ويعود السبب في ذلك الى طول فتره التعلم وكثرة الاجور التي يقوم بدفعها المتعلم للمعبد او المدرسة.

-لم توجد مؤسسة ثقافية واحدة في حضارة بلاد وادي الرافدين اسهمت في حفظ التراث العراقيين وعلومهم ومعارفهم وبخاصة التراث العلمي السومري مثلما كانت عليه المدرسة في المجالات المختلفة كالطب والزراعة وغيرها.

الأشكال والصور

الشكل رقم ١: تطور الكتابة الصورية في بلاد الرافدين

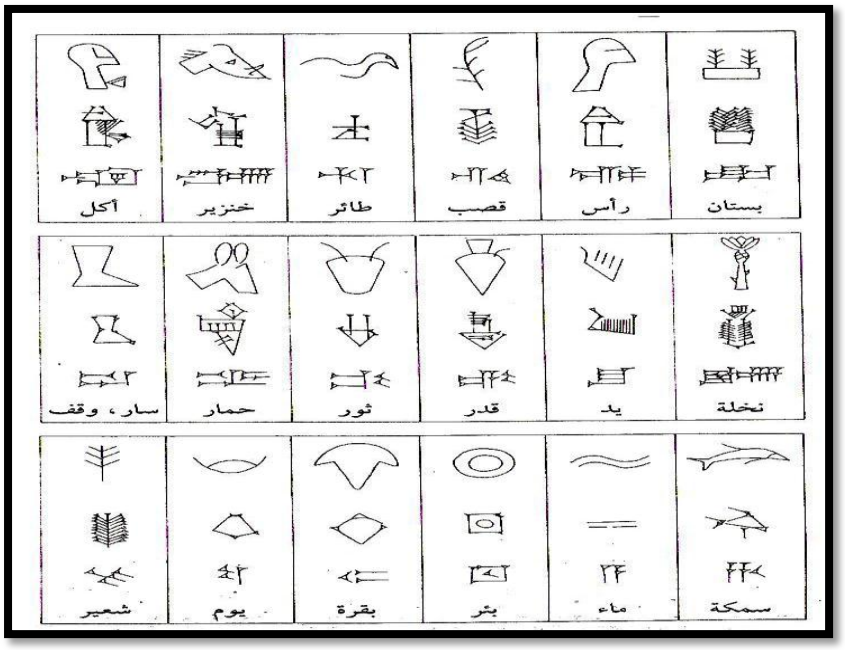

المصدر: (عبد اللطيف،٢٠١٣، ص ٨٠)

الشكل رقم ٢: نموذج لرقم طيني يحمل جداول سلالات الملوك السومرية مكتوبة بالخط المسماري

المصدر: (اوكيل،٢٠١٧، ص٢١٧)

الشكل رقم ٣: رقم طيني بحجم كف اليد هو (وصل بضائع) مدون عليه أعداد وكميات الخراف والماعز والجلود بالتفاصيل،

وقد وجِد ٤٠٠٠ من هذه الرقم الطينية في مملكة لكش جنوب العراق حوالي 2151 ق.م، و هو دليل على

التقدم والدقة في التعاملات التجارية لتلك الحقبة.

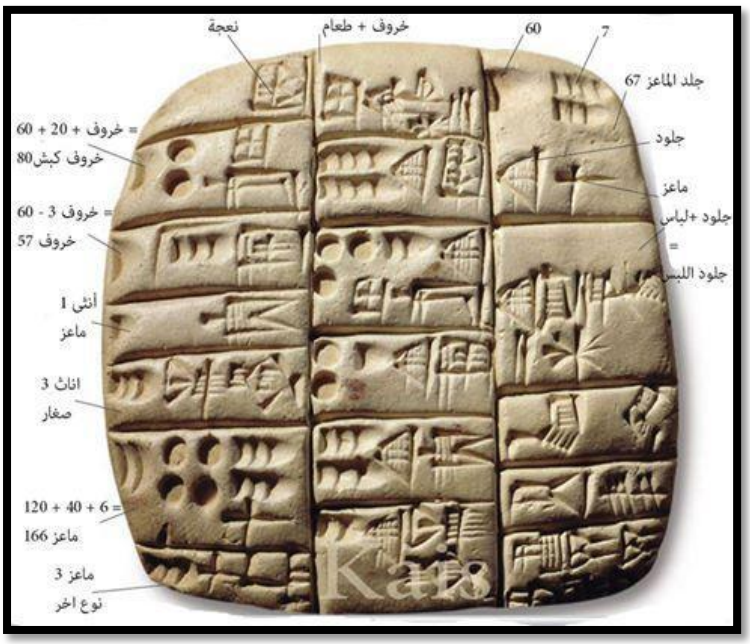

المصدر: (عطيه،٢٠١٥، ص١٢١)

المصادر والمراجع العربية

١.إسماعيل، بهيجة خليل،١٩٨٥: الكتابة وحضارة العراق، الجزء الأول – بغداد.

٢.أسماعيل، فاروق،١٩٩٢: أرا وملك كل الديار، الطبعة الأولى دار الجدل –دمشق.

٣.اوكيل، صبيحة ،٢٠١٧: ظاهرة التوحيد في بلاد الرافدين بين النصوص القديمة والديانات السماوية، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر– الجزائر.

٤. باقر، طه واخرون،١٩٨٠: تاريخ العراق القديم، الجزء الثاني– بغداد.

٥.باقر، طه،٢٠٠٩: عن النظريات التي قيلت في أصل السومريين، مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، دار الوراق– بغداد.

٦.البدر، سلمان سعدون، الغريبة، عز الدين إسماعيل، ١٩٨٣: العلاقات الحضارية في الوطن العربي خلال الالف الثاني قبل الميلاد، الطبعة الأولى– الكويت.

٧.الجميلي، عامر عبد الله، ٢٠٠٥: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب –دمشق.

٨.جي فرج، ١٩٦٠: بصمة الوركاء، مديرية الاثار القديمة– بغداد.

٩.الخوري، موسى ديب،٢٠٠٢: قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم منشورات وزارة الثقافة – دمشق.

١٠.رشيد، عبد الوهاب حميد، ٢٠٠٤: حضارة وادي الرافدين، الطبعة الأولى، دار الهدى.

١١.رشيد، فوزي ،٢٠١١: ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم: مراجعة منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر – دمشق.

١٢.روثن، مارغريت،١٩٨٠: علوم البابليين: تعريب وايضاحات يوسف حبي –بيروت.

١٣.الزيباري، أكرم،١٩٨٩: المدارس والتعليم في بلاد وادي الرافدين مجلة بين النهرين العدد ٦٨– بغداد.

١٤.ساركز، هاري،٢٠٠٠: الحياة اليومية في العراق القديم (بابل وآشور) ترجمة كاظم سعد الدين، الطبعة الأولى –بغداد.

١٥.سليمان، عامر، د.ت: العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ السياسي.

١٦.شحيلات، علي: الحمداني عبد العزيز،٢٠١٢: مختصر تاريخ العراق، تاريخ العراق القديم، الجزء السادس، الطبعة الأولى – بيروت.

١٧. الشواف، قاسم، ١٩٩٦: ديوان الاساطير سومر واكاد واشور، الكتاب الثالث– دمشق.

١٨.عبد الواحد، فاضل،١٩٩٧: المثقفون في تراث العراق القديم، الموقف الثقافي – بغداد.

١٩.علي، سعيد إسماعيل ،١٩٩٥: التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب – القاهرة.

٢٠.ف، فودن زودن،٢٠٠٣: مدخل الى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل –دمشق.

٢١.فتوحي، ميري،١٩٨٦: مكتبات العراق دراسة تاريخية لنشوء المكتبة وتطورها–بغداد.

٢٢.قرنجي، فؤاد، ١٩٧٦: المكتبات في العراق – بغداد.

٢٣.كريمر، صموئيل،١٩٧٣: السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم) ترجمة فيصل الوائلي، دار غريب للطباعة – الكويت.

٢٤.كريمر، صموئيل، ١٩٨٥: من الواح سومر –الكويت.

٢٥.كيبرا، ادوارد،١٩٦٢: كتبوا على الطين قرم الطين . البابلية تتحدث اليوم، ترجمة محمود حسين الأمين – بغداد

٢٦.لنتون، رالف، د.ت: شجرة الحضارة في سومر وبابل، ترجمة عطا بكري، المكتبة الانجلو المصرية – القاهرة.

٢٧.ملرش، ايج أي أيل،١٩٧١: قصة الحضارة في سومر وبابل، ترجمة عطا بكري – بغداد.

٢٨.عبد اللطيف، سجى مؤيد،٢٠١٣: الأصول المبكرة للكتابة الهجائية بين الخط المسماري والخطوط المصرية القديمة ودور بلاد الشام في ابتكاره، مجلة الأستاذ، المجلد ٠١، العدد ٢٠٧ .

٢٩.عطيه، علا امين،٢٠١٥: العلوم الأولية في حضارة المشرق العربي القديم (بلاد الرافدين) من العصر السومري الى نهاية الدولة الكلدانية من ٢٨٠٠ ق.م – ٥٣٢ ق.م ، جامعة دمشق – دمشق.

المصادر الأجنبية

1.Black, j, et al 2005 :The Literature of Ancient Sumer. Oxford University Press.

2.George, Bushnell, 1983 :Early libraries of the world on Graff in 2ed –London.

3.Kramer, S.N, 1971: The Sumerians: their history culture and character University of Chicago press.

4.Pelers, John, 1904 :Nippur or discoveries and adventures in Vol2 Princeton – New York.

5.Van de Mieroop, 2015 :a history of the ancient Near East, ca 3000-323 BC. – Wiley-Black well

Arabic sources and references

1.Abdel Latif, Saja Mu'ayyad, 2013: The early origins of alphabetic writing between cuneiform and ancient Egyptian scripts and the role of the Levant in its innovation, Al-Ustadh Magazine, Volume 01, Issue 207.

2.Abdul Wahid, Fadhel, 1997: Intellectuals in the Heritage of Ancient Iraq, Cultural Position - Baghdad.

3.Al-Badr, Salman Saadoun, Al-Gharibah, Izz Al-Din Ismail, 1983: Civilizational Relations in the Arab World during the Second Millennium BC, First Edition - Kuwait.

4.Ali, Saeed Ismail, 1995: Education in the Civilizations of the Ancient East, World of Books - Cairo.

5.Al-Jumaili, Amer Abdullah, 2005: The Writer in Ancient Mesopotamia, Publications of the Arab Writers Union - Damascus.

6.Al-Khoury, Musa Deeb, 2002: The Story of Numbers across the Civilizations of the Ancient East, Publications of the Ministry of Culture - Damascus.

7.Al-Shawaf, Qasim, 1996: The Diwan of Myths of Sumer, Akkad and Assyria, Book Three - Damascus.

8.Al-Zibari, Akram, 1989: Schools and Education in Mesopotamia, Between the Two Rivers Magazine, Issue 68 - Baghdad.

9.Attia, Ala Amin, 2015: Primary Sciences in the Civilization of the Ancient Arab East (Mesopotamia) from the Sumerian Era to the End of the Chaldean State from 2800 BC - 532 BC, Damascus University - Damascus

10.Baqir, Taha and others, 1980: History of Ancient Iraq, Part Two - Baghdad.

11.Baqir, Taha, 2009: On the theories that were said about the origin of the Sumerians, Introduction to the History of Civilizations, Part One, Dar Al-Warraq - Baghdad.

12.F, Foden Zoden, 2003: Introduction to the Civilizations of the Ancient East, translated by Farouk Ismail - Damascus.

13.Fatouhi, Miri, 1986: Libraries of Iraq, a Historical Study of the Emergence and Development of the Library - Baghdad.

14.Ismail, Bahija Khalil, 1985: Writing and the Civilization of Iraq, Part One - Baghdad.

15.Ismail, Farouk, 1992: Ara and King of All Lands, First Edition, Dar Al-Jadal - Damascus.

16.Jay Faraj, 1960: The Imprint of Warka, Directorate of Antiquities - Baghdad.

17.Kiera, Edward, 1962: They Wrote on Clay, Clay - Babylonian Speaks Today, Translated by Mahmoud Hussein Al-Amin - Baghdad.

18.Kramer, Samuel, 1973: The Sumerians (Their History, Civilization and Characteristics) Translated by Faisal Al-Waili, Dar Gharib for Printing - Kuwait.

19.Kramer, Samuel, 1985: From the Sumerian Tablets - Kuwait.

20.Linton, Ralph, d.t.: The Tree of Civilization in Sumer and Babylon, Translated by Atta Bakri, Anglo-Egyptian Library - Cairo.

21.Mellarsh, E.G.I.E.L., 1971: The Story of Civilization in Sumer and Babylon, Translated by Atta Bakri - Baghdad.

22.Okil, Sabiha, 2017: The phenomenon of monotheism in Mesopotamia between ancient texts and heavenly religions, PhD thesis, Department of History, University of Algiers - Algeria.

23.Qaranji, Fouad, 1976: Libraries in Iraq - Baghdad.

24.Rashid, Abdul Wahab Hamid, 2004: The Civilization of Mesopotamia, First Edition, Dar Al-Huda.

25.Rashid, Fawzi, 2011: Civilizational and Aesthetic Phenomena from Ancient History: Review by Munther Al-Hayek, Pages for Studies and Publishing - Damascus.

26.Rothen, Margaret, 1980: Babylonian Sciences: Translation and Explanations by Youssef Habbi - Beirut.

27.Sarks, Harry, 2000: Daily Life in Ancient Iraq (Babylon and Assyria), translated by Kazem Saad Al-Din, First Edition - Baghdad.
28.Shahilat, Ali: Al-Hamdani Abdul Aziz, 2012: A Brief History of Iraq, History of Ancient Iraq, Part Six, First Edition - Beirut.
29.Suleiman, Amer, n.d.: Iraq in Ancient History, A Brief History of Politics.